التعليم العربي في نيجيريا وتفعيل مدارس "الْمَاجِرَيْ" لتحقيق الأهداف الدينية والوطنية (ولاية كانو أنموذجا)

الدكتور كبير غرب دالا

المحاضر بقسم اللغة العربية، جامعة عمر موسى يرأدوا،

كاتسينا – نيجيريا.

المقدمة:

الحمد لله الذي خلق الإنسان، وعلمه البيان، والصلاة والسلام على المنزل عليه القرآن الكريم تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين، سيدنا ومولانا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أئمة الهداة المهديين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد، فإن المدارس القرآنية (الكتاتيب) مدارس يجتمع فيها أطفال المسلمين الصغار في بيت معلم داخل المدن والقرى، فيعلمهم القرآن، بادئا بالحروف الهجائية، ويدربهم على النطق بها، ثم قرائتها بأشكال الفتحة، ثم بالضمة، ثم بالكسرة، وُصولا إلى تلقينهم مفردات قرآنية مضبوطة بالشكل، ثم يعلمهم سورة الفاتحة يحفظونها عن ظهر القلب، ثم سورة الناس إلى الفيل، وهكذا يستمر مع التلميذ إلى أن يختم القرآن الكريم.

وهذا البحث بمثابة دراسة مقتضبة عن نشأة المدارس القرآنية (الكتاتيب) في نيجيريا وتطورها، ومفهوم كلمة "الْمَاجِرَيْ" ومفهوم التسول المنسوب إلى "الْمَاجِرَيْ" فعلاقة الْمَاجِرَيْ بالتسول، والفرق بين تسول الْمَاجِرَيْ وتسول غيرهم، وعن المدارس القرآنية في المدن والقرى والفرق بينهما، ثم المشكلات التي تواجهها المدارس القرآنية والتحديات التي فيها، فذكر الحلول لهذه المشكلات. والله الموفق إلى الصواب.

نشأة المدارس القرآنية (الكتاتيب) في نيجيريا

تعد مدرسة القرآن الكريم مدرسة أولية وفريدة من نوعها في نيجيريا، وكانت في بادئ الأمر تسمى "كتابا" وجمعه "كتاتيب"، ثم تحولت إلى مدرسة "اللوح" لاستعمالها الألواح في الكتابة والقراءة، ثم تحول هذا الاسم في يومنا هذا إلى مدرسة القرآن الكريم، إلا أن تسميتها بمدرسة اللوح ما زالت موجودة إلى اليوم.

قد ظهرت المدرسة منذ طلوع فجر الإسلام في نيجيريا ونشأت في زمن ملك علي ياجي، أول من أسلم من ملوك كنو، وذلك قبل ظهور الشيخ عثمان بن فودي، واعتنى بها وعلماءها مع التلاميذ حق الاعتناء، واستمرت المدارس تحت عناية ورعاية ملوك كنو إلى زمن الاستعمار البريطاني في نيجيريا حيث توقف الأمر(١). والمسلمون عادة يرسلون أطفالهم بنين وبنات إلى هذه الكتاتيب ليتعلموا شيئا من القرآن الكريم، كما يتعلمون بعض المبادئ الإسلامية(٢)، فكانت هذه الكتاتيب تقع في بيت معلم من علماء المنطقة، والذي يبدأ بتعليم أولاده وأولاد أقاربه وجيرانه، وهكذا تتوسع إلى أن تكبر، فيُخصَّص لها مكان معين، إما في داخل البيت أو خارجه لتصبح مدرسة(٣) يتلقون التلاميذ فيها الدراسة في الحروف الهجائية بالتدرج، ثم يدربهم على النطق بها، ثم يبدأ بتكوينهم على قراءة القرآن بالأشكال؛ كالفتحة، والضمة والكسرة، وذلك عن طريق الكتابة على الألواح إلى أن يستغنوا عنها، ثم في آن واحد يعلمهم سورة الفاتحة عن ظهر القلب لأهميتها، ثم سورة الناس إلى سورة الفيل، وكل ذلك ليكون عندهم مقدار ما يقرؤونه في الصلوات الخمس، ثم يرجع بهم ويبدأ من الأول، يعلمهم السورة بالشكل، ويستمر بهم بالتلاوة وهم يقلدونه في القراءة والكتابة، وهكذا إلى أن يختم التلاميذ القرآن كله قراءة وكتابة (٤).

وبعد أن تقدمت المدرسة تم تقسيمها إلى قسمين، ففي القسم الأول يتعلم التلاميذ القراءة والكتابة فقط بدون حفظ، وفي القسم الأخير يتعلمون الحفظ لا غير. ولتعليم القراءة والكتابة أهمية جدا، لأن ذلك يمحو عنهم الأمية، فيستطيع التلاميذ خلال تلك الممارسة كتابة

لغاتهم المحلية، فهذه المدارس هي الوحيدة التي تعلم القراءة والكتابة في ذلك الزمن، فإذا ما أكملها التلاميذ استطاع بعد ذلك أن يقرأ القرآن الكريم ويقرأ كذلك لغته ويكتبها(٥).

تطور المدارس القرآنية:

بعد أن توسعت المدرسة القرآنية، وازداد عدد التلاميذ فيها، صار للمعلم أعوان من بين الذين ختموا القرآن وتخرجوا على يديه ومن غيرهم من المتعاونين.

وفي هذه المرحلة تنقسم المدرسة إلى قسمين كما مر بنا، ففي القسم الأول يتعلم التلاميذ القراءة والكتابة فقط بدون حفظ، وفي القسم الأخير يتعلمون الحفظ فقط لا غير. والملاحظة أن هذا القسم الأخير منعزل عن القسم الأول، فصار مستقلا بنفسه، حيث انقسم إلى قسمين: قسم، استمر على سيرته التقليدية الأولى، فيستعمل التلاميذ فيه الألواح عند الحفظ، وقسم آخر، يستعمل فيه التلاميذ المصاحف بدلا من الألواح.

وطريقة الحفظ في القسم الأول هو أن يكتب التلميذ "الثمن" من الجزء ويذهب في صباح الباكر في الساعة السادسة، ويجلس تحت شجرة، منعزلا عن الناس حيث يجد الهدوء فيشتغل بتلاوة هذا الثمن يتلوه ويردده إلى الساعة السادسة مساء، ثم يرجع إلى المدرسة وقد حفظه كله، وهكذا يفعل كل يوم إلى أن يحفظ القرآن كله.

وهناك صنفٌ آخر من التحفيظ أرقى مرتبة، فهو الذي يستعمل التلميذ فيه المصحف بدلا من اللوح في تحفيظه، حيث يتلو المصحف ترتيلا بالدقة مع التدبر، ومراعاة كتابته وعلامات الترقيم فيه، والإشارة المكتوبة في هوامشه، وبها يتعرف على عدد من الكلمات، أو العبارات الواردة في القرآن الكريم. وهذا يتتبع الصفحات ويلاحظ كل ما هو مكتوب في الصفحات ويحفظها، إلى أن يختم القرآن بهذه الصيغة في المرة الثانية، وإذا وصل إلى هذه المرحلة صار أهلا ليكتب القرآن حفظا(٦).

ونتيجةٌ لاستعمال التلاميذ المصاحف في تلك الأقسام بالمدن والقرى كانت هناك تأثيرات في نفوس بعض المعلمين والتلاميذ، فولدت هذه الفكرة النهضة والانقلاب في نظام المدارس القرآنية، فأوجدت نظاما جديدا ومنهجا مُتَّبعًا، حيث أضيف إلى جانب قراءة القرآن

وحفظه مادة التجويد، وعلوم القرآن وبعض المواد العربية والإسلامية، وكثيرا ماتحول بعض هذه المدارس إلى مدارس تحفيظ القرآن والتجويد في المدن والقرى، واستمر القسم الأول على سيرته الأولى التقليدية ولم يزل إلى اليوم.

عقد الولائم للتلميذ خلال دراسته:

يعقد أهل التلميذ الولائم لابنهم، أو ابنتهم من حين لآخر خلال دراسته للقرآن الكريم، عند ما وصل إلى بعض الأحزاب القرآنية، حيث يصنعون أنواعا من الأطعمة والأشربة اللذيذة والحلوى مع لحوم الدجاج والغنم والبقر، يقدمونها إلى المعلم، فأقرانه التلاميذ، ثم إلى الجيران، فيدعو المعلم له بالخير والبركة والفهم.

والأحزاب التي تقام فيه الوليمة للتلميذ هي أن تبدأ القراءة من الأسفل بداية من الحزب الأول، والثالث والخامس والعاشر والخامس عشر، والثلاثين والأربعين، ثم حزب الستين، وكلما زاد التلميذ حزبا زادت وتضاعفت المأكولات والمشروبات، هذا في بعض الكتاتيب، وقد يختلف هذا الاعتبار في كتاتيب أخرى.

وعندما يختم التلميذ القرآن يعقد أهله احتفالا كبيرا في بيتهم فيحضره العشيرة رجالا ونساء، ويدعى الجيران ليشاركوهم، ويحضره التلاميذ في لباس جديد، وفي رفقة معلمه بعض أصحاب المعلم فيجالسون في شكل الدائرة، أو صفوفا، فيلبسه المعلم العمامة، ثم يلقنه سورة الفاتحة وقسطا من سورة البقرة جهرا، في مسمع الحضور والناس حوله بعد إعادة قراءته للمعلم يمدونه بالأموال والصدقات، ثم في النهاية يدعو المعلم له بالخير والبركة والناس يأمنون.

ومنذ ذلك اليوم يلقب بـ "مَالَمْ" يعني المعلم، ولا ينادي باسمه إلا مع إضافة كلمة "مالم"، إكراما له لختامه القرآن الكريم، فتقام الوليمة الكبرى، أكبر مما مضت من الولائم بأضعاف مضاعفة.

وبعد أسبوع، يحمل التلميذ شهادته لختم القرآن، وهي بمثابة لوح جديد مزين بالرسومات الرائعة في جانبه، مكتوب عليه سورة الفاتحة، وخمس آيات من سورة البقرة، فيتحول بها إلى ديار أقاربه ويريهم إياها، ويتلقونه منه مسرورين وهم يبذلون له العطايا ويدعون له بالخير والبركة(٧).

مفهوم كلمة "الْمَاجِرَيْ":

كلمة "الْمَاجِرَيْ" كلمة معرّبة من اللغة العربية إلى لغة هوسا وتعني "المهاجر"، ولما لا حظ الناس في هذه المنطقة، أن معظم تلاميذ هذه المدارس القرآنية، يهاجرون من بلد إلى آخر، ومن قرية إلى أخرى، ومن القرى إلى المدن، بغية تعلم القرآن الكريم، سموهم بـ "الْمَاجِرَيْ" وبعد زمن تحول الاسم إلى "مدارس اللوح" لاستعمال التلاميذ فيها الألواح عند الكتابة والقراءة. فسموا تلميذها بـ "الْمَاجِرَيْ"، أو "الْمَاجِرَيْ" بصيغة الجمع، وهذا هو سبب تسمية هذه المدارس بـ"مدارس الْمَاجِرَيْ"، لا لأن التلاميذ يتسولون في الطرق والشوارع أو البيوت.

(أ) مفهوم التسول:

والتسول لغة: من كلمة سَوِلَ وتسول بمعنى سأل واستعطى(٨)، والتسول اصطلاحا، هو "تكفف الناس بالسؤال عن العطايا والهدايا، وطلب بذل الأموال والأمتعة من الأغنياء وأصحاب الجاه أو أيسر لهم، سواء أكان هذا المتسول فقيرا محتاجا، أو غنيا طموحا في الأموال، كما يحدث في أيامنا هذه في الشوارع، والأسواق ومحلات التجارة والديار، بعضهم مصابون بأمراض مقدرة عليهم مثل العمى، والعرج، والبكم، والصمم، أو البرص، والجذام، وبعضهم بالجروح في أعضاء أجسامهم، ومنهم من لم يصبه أي مرض، إلا أنه عجوز ضعيف لا يستطيع أن يتكسب لنفسه شيئا، فينفق على نفسه، كل ذلك أسباب اجتماعية واقتصادية، ومنهم من ليس كذلك، بل هو معافى وما عليه ضرر، إلا أنه كسول لا يريد أن يكتسب شيئا، فضلا عن استعمال قوته لينفق ولو على نفسه، فيكون كلاًّ على الناس، لا لعمل الدنيا ولا لعمل الآخرة، هذه كلها من الأسباب التي يعتمد عليها المتسوّلون للتسوّل.

(ب) علاقة الْمَاجِرَيْ بالتسول:

كانت علاقة التسول "الْمَاجِرَيْ" علاقة ضرورية، حيث إنه هاجر من بلده إلى بلد الغربة، ترك عشيرته وجاء إلى بلد لا عشيرة له فيه، ولم يعرف حرفة فيكتسب بها مالا لضمان عيشه، فلزمه أن يتسول ويأتي ديار الجيران طلبا لما بقي من طعامهم وشرابهم، لينال ما يتقوى

به على العيش، ويطمئن قلبه على تلمذته، وهذا فقط هو السبب في تردد الْمَاجِرَيْ على ديار الناس بالتسول، وهو سبب له اعتباره الخاص في طلب الطعام، أو ما يسد به رمقه، فغالبا ما يفضّلون الطعام على المال عند التخيير، ويرضون بالخدمات المنزلية مقابل الأطعمة التي يرغبون فيها.

المدارس القرآنية في المدن:

إن المدارس القرآنية التقليدية في المدن، لا تختلف عن المدارس القرآنية التقليدية في القرى والبوادي من حيث طريقة الدراسة والتدريس، إلا أن المدارس تنقسم إلى قسمين: قسم يرأسه العلماء الحضريون ويحضره التلاميذ الحضريون من بيوتهم صباحا ومساء، ثم يرجعون إلى بيوتهم حين تنتهي ساعات الدراسة بدون الإقامة فيها، لأنهم يعيشون مع أهاليهم وأقاربهم، وقد بدأت هذه المدارس تتحول في هذه الأيام إلى مدارس تحفيظ القرآن الحديثة يستعملون المصاحف والسبورة ووسائل الإيضاح عند الدراسة.

وأما القسم الأخير، فهو عبارة عن المدارس التي هاجر علماؤها من البوادي والقرى مع تلاميذهم "الْمَاجِرَيْ" إلى المدن، وأسسوا المدارس لهم، حيث يستعملون محارب بعض المساجد في الحارة كمدرسة لهم، أو يتيح لهم بعض الناس باستعمال بيوتهم غير مسكونة للدارسة فيها إلى أجل تبرعا، أو يبنى لهم المبنى الكبير في ساحة بين بيوت الناس تبركا، أو يأخذ المعلم بيتا لهم للكراء، أو مخزن للكراء، فيكون مدرسة ومبيتا لهم، وبهذا الشكل تكون هذه المدارس في المدن.

مشكلات المدارس القرآنية التقليدية:

هذه المدارس مدارس أهلية كما هو معروف، ليست حكومية وليس للحكومة دَخَلٌ فيها، وليست تحت عناية أية مؤسسة، أو منطقة تدير شؤونها؛ لأجل ذلك لا تتماشي مع أي نظام عصري، بل هي مستقلة بنفسها. ومن الأسف أن الناس لا يبالون بشأنها إلا قليل، لا يأتيها رزقها رغدا، لا من جهة الحكومة، ولا من المؤسسة، ولا من المنطقة، ولا من الأغنياء إلا قليلا، لأجل ذلك تراكمت عليها مشكلات كثيرة، منها:

١. مشكلة المقرر الدائم الواسع لها: كثيرا ما تجد هذه المدارس ليس لها محل مستقل لها، أو مكان واسع خاص لها، فيجلس التلاميذ في مكان، أو أماكن ضيقة وقد يكونون متفرقين حيث يصعب للمعلم الواحد إدارة شؤونهم.

٢. مشكلة المبيت: ليس للتلاميذ مكان واسع ينامون فيه، بل ينامون في مكان ضيق، يجتمعون فيه في الزحمة، لا رداء لبعضهم فيرتدون به على أجسامهم، ولاسيما في أيام الشتاء، ونتيجة نومهم في هذه الزحمة يصاب بعضهم ببعض الأمراض، وبالخصوص أيام الصيف.

٣. مشكلة اقتصادية: هذه هي أهم المشكلات التي تواجهها المدارس والتلاميذ معا، إذ لا تملك المدرسة أموالا فينفقها المعلم على التلاميذ، والمشكلة كل المشكلة أن يصبح التلميذ وليس له ما يفطر به، وهكذا يبدأ يومه بالدراسة في هذه الحالة، فارغ البطن بدون الفطور إلى الساعة التاسعة، أو أكثر، فكيف يطمئن قلبه؟ وربما بات ليله جائعا، وهو لا يمكن أن يتعلم شيئا مفيدا، أو يعي قلبه ما يدرس، فقديما قال أهل العلم فيما يشبه المثل السائر: "العقل السليم في الجسم السليم".

٤. مشكلة الصحة والنظافة: ترجع هذه إلى المشكلة الاقتصادية أيضا، حين يعيش أغلب التلاميذ بدون نظافة الجسم واللباس، ولا يغتسل بعضهم إلا مرة في الأسبوع لعدم ما يشتري به الصابون، وهكذا يقضي أياما ولباسه وسخة. ثم إذا مرض، فلا حول له ولا قوة إلا بالله، لا مال للمعلم فيحمله إلى المستشفي، بل يداويه المعلم بأدوية عادية تقليدية، ويمرضه، أو بعض التلاميذ حتى يشْفى. قلما تجد في الأمة من يعتني بحاله فيساعده بدواء، او يمده بمال يتداوى به.

٥. مشكلة التسول: التسول للتلاميذ مشكلة كبيرة رغم أنهم يتسولون اضطرارا؛ إذ ليس لهم بد إلا أن يفعلوه ليعيشوا، ومن سلبيات هذا التسول عليهم أنه يعرقل لهم اهتمامهم وجهدهم تجاه دراساتهم القرآنية، كما أنّه يفقد لهم هيبتهم وشرفهم في مجتمعاتهم.

٦.مشكلة التربية: تقل في تلاميذ هذه المدارس التربية الصحيحة، لعدم الدراسة التهذيبية فهيم، فتجدونهم يسيئون الأدب لبعض جيرانهم وفيما بينهم، ولمساعدي المعلم وحتى المعلم نفسه، من حين لآخر. وتراهم تارة يضرب بعضهم بعضا، ويشتم بعضهم بعضا بشتائهم بذيئة، كل ذلك لفقدهم التربية التهذيبية الأخلاقية، وهذا عيب كبير لقارئ القرآن الكريم.

ومن الأسف أن بعض المعلمين يفسدون تربية بعض التلاميذ ويسيئون المعاملة مع التلاميذ، حيث يشتمونه ويضربونهم ضربا مبرحا يجرهم إلى المستشفى. أرشدنا الله وإياهم.

حلول المشكلات:

بعد النظر إلى المشكلات التي تعانيها مدارس "الماجري" يمكن تقديم الحلول التالية لعلها تسهم في تحسين الوضع عاجلا أو آجلا::

١- على الآباء أن يتحملوا مسؤولية الإنفاق على أولادهم التلاميذ في مدارس ألماجري، سواء في داخل البلاد أم في خارجها؛ لأن ذلك حق وواجب عليهم قبل أن يساعدهم غيرهم، وإلا، فلا يرسلونهم إلى مدرسة ألماجري باسم دراسة القرآن الكريم، فيعانون المتاعب والمشقات والإهانات في طلب ما يسدون به رمق العيش، ويكون ذلك سببا في الطعن في الإسلام وتعاليمه من قبل غبر المسلمين. فعلى الآباء وأولياء الأمور إن لم يقدروا على القيام بتحمل مسؤولياتهم أن يبقوهم معهم، ويتركوهم يتعلمون في بلدهم ما دام أن هناك مدرسة ومعلمين، وليس لازما أن يخرجوهم من بلدهم إلى بلد آخر ليتعلموا القرآن الكريم قال تعالى: (لا يكلف الله نفسا إلا وسعها" [سورة البقرة:٢٨٦].

٢- على الأغنياء الذين يسكنون بجوار هذه المدارس أن يساعدوها مساعدة مالية ولو بدفع قسط من زكاة أموالهم سنويا، ويقدموها إليها لتقدمها ومصلحتها وتطور شؤونها.

٣- على المؤسسات والمنظمات الإسلامية أن يعنوا عناية كبيرة بهذه المدارس القرآنية قبل سقوطها وهدمها -نعوذ بالله من ذلك- وأن يمدوها بيد المعونة كي تنهض وتتطور تطورا محمودا.

٤- على الحكومة النيجيرية بمختلف مراحلها أن يكون لها مزيد الاعتبار الخاص في تنظيم هذه المدارس وإدارتها ومدّ يد العون إليها، وأن يتابع حركات المسؤولين عن القيام بشؤونها، حتى يؤدوا الأمانة على وجهها.

٥- أن تضاف المواد الدينية إلى تعلم القرآن الكريم في هذه المدارس، كي يتعلم التلاميذ ما عليهم من أمور دينهم الإسلامي؛ لأن أغلبهم يتخرجون في هذه المدارس جهالا وما لهم علم من أمور دينهم، وتضاف لهم أيضا مادة تجويد القرآن ليستقيم لسانهم بالنطق الصحيح، إضافة إلى دراسات في التربية الأخلاقية ليتخلقوا بالأخلاق الإسلامية الفاضلة ويتأدبوا بآدابها الكريمة.

وإذا قام كل فرد من هذه الأفراد بواجبه، وأدى ما عليه من الحقوق والمسئوليات، فستقضى على هذه المشكلات رغم تفاقمها.

الخاتمة:

(أ) خلاصة المقال:

تناول المقال الحديث عن نشأة المدارس القرآنية (الكتاتيب) وتطور ها في نيجيريا والحديث عن مفهوم كلمة "الْمَاجِرَيْ" ومفهوم التسول وعلاقة التسول "الْمَاجِرَيْ" به، والفرق بين تسول "الْمَاجِرَيْ" وتسول غيرهم، وحالة المدارس القرآنية في المدن والقرى، ثم تحدث عن المشاكل التي تواجهها المدارس وحلول تلك المشاكل.

(ب) التوصيات:

١- منح المدارس الشهادات الورقية الختامية للتلاميذ.

٢- على الحكومات والمؤسسات والمنظمات الإسلامية معاونة هذه المدارس بالأموال لإجراء وتنفيذ شئونها الإدراية وإمدادها بالمشورات والمراقبة إدارية من حين لآخر، لإدارة شؤنها في أحسن شكل.

٤- وعلى المعلم أن لا يقبل ويسجل أي تلميذ للخرود به خارج البلد إلا إذا رضي أبوه أو وكيله أن ينفق على ابنه خلال مكثه في المدرسة، أو يدفع ما عليه من تلك الرسومات المدرسية.

٥- تدريب معلمي المدارس في التعامل مع الأطفال وكيفية بث الأخلاق النبيلة فيهم.

الهوامش والمراجع:

المقابلة الصحافية مع الدكتور غوني يهوذا غوني طن زرغا بإذاعة كنو، نيجيريا، يوم السبت ٢٠١٩/١٠/٥م ساعة ٩-١٠ ليلا.

١- غلادنثي، شيخو أحمد سعيد (الدكتور) حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا، ص: ٤٧.

٢- المرجع نفسه، ص: ٤٨.

٣- مدابو، موسى حسين، طلوع فجر الإسلام في ولاية كنو النيجيرية، ص: ١٦.

٤- غلادنثي، المرجع السابق، ص: ٤٨.

٥- مقابلة شخصية مع أستاذ إسماعيل مختار في مدرسته بحارة دالا يوم الجمعة من المحرم ١٤٤١هـ، الموافق ٢٠ من سبتمبر ٢٠١٩م.

٦- المقابلة نفسها.

٧- أنيس، إبراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، ج١، (د. مط)، مايو - ١٩٧٢م.